

الغارات الجزائرية في المحيط الأطلسي 1627، 1631 - آيسلندا، آيرلندا أنموذجا -

د. قرياش بلقاسم - جامعة معسكر. الجزائر

الملخص:

إن ما يجب أن نعلمه أن الجزائر العثمانية، أصبحت مستقلة تماما فيما يتعلق بعلاقتها الخارجية، وهذا ابتداء من مطلع القرن السابع عشر بعد أن وقع الهولنديون معاهدة صلح مع الجزائر خارج المعاهدات العثمانية الهولندية، ومنذ اللحظة أصبح يجب على الدول الأوروبية الرغبة في عقد معاهدات صلح أن تتوجه مباشرة إلى الجزائر. تعالج الورقة التالية الغارات الجزائرية في المحيط الأطلسي (آيسلندا، بالتيمور - آيرلندا-) 1627-1631، وتمثل هذه الغارات مجموعة هجمات من أجل الحصول على غنائم وأسرى، كانت الحملة تحت قيادة مراد ريس، نتج عنها وقوع ما بين 400-800 أسير بيعوا في الأسواق الجزائرية. كما تعتبر الحملتين السابقتين أنجح الحملات التي قادها الجزائريون خارج البحر المتوسط وأشهرها.

راسل حاكم فالنسيا الملك الإسباني سنة 1601، يبلغه فيها عن وجود خمسة سفن جزائرية على ساحل سانتا دي بولا قبالة السواحل الفالنسية، نفذت غارات بحرية وهاجمت السفن التجارية، وأن السكان أصيبوا بالحمى لوجود السفن الجزائرية. كما أن الموريسكيين ساعدوهم في أغلب هجماتهم على سواحل فالنسيا، وعبر على ضرورة الإسراع في التخلص من خطرهم.¹

كان المحيط الأطلسي مجالا مربحا بالنسبة للجزائريين، فأغلب دول شمال أوروبا لم تكن قد وقعت السلم مع "دولة الجزائر" ما يجعل سفنها غنائم شرعية. تزامن وصول الجزائريين إلى المحيط الأطلسي مع توجه إقتصادات دول شمال أوروبا للإستثمار في الملح الواقع جنوبا وراء رأس فينستر، الأمر الذي جعل هذه الحمولات تصطدم ببخارة الجزائر لتقع غنيمة بطريقة سهلة بإعتبار أنها لم تكن مسلحة.

الغارات البحرية الجزائرية في المحيط الأطلسي 1580-1650:

ظهر مؤخرا بعض الاهتمام من قبل الكتاب الإسبان، حول تأثير طرد المورسكيين من إسبانيا 1609-1614، وقد ركزت هذه الدراسات اهتمامها على التأثير الاقتصادي والديمقراطي على إسبانيا. وإن إحدى الجوانب المهمة من هذا الطرد، لا تزال حتى الآن مهمة من قبل الباحثين؛ ألا وهو الجانب الأمني خلال القرن السابع عشر، والمتمثلة في هجمات البحارة الجزائريين التي اتسعت فيما يخص الجانب الجغرافي والكمي للغارات البحرية على السواحل الإسبانية.

وقبل هذا كانت معركة ليبانتو قد فتحت الباب واسعا، أمام تصاعد الهجمات البحرية الجزائرية ضد السواحل الإسبانية، حيث مثلت آخر المعارك البحرية الكبرى، بين الدولتين العثمانية والإسبانية وأصبحت السيطرة على الجزء الغربي من البحر المتوسط، تستند على إضعاف إقتصاد الدولة الإسبانية من خلال دعم البحارة العثمانيين المتمركزين على سواحل شمال إفريقيا.

¹ Ellen G. Friedman, p05.

ويذكر ألبيرت تينانتي *Albert Tenenti* (1580-1590): "لا يوجد ميناء ولا ساحل يتبع العالم الكاثوليكي، نجى من الهجمات الجزائرية"¹. تعرضت اسبانيا سنة 1580 لمجموعة من الهجمات قادها بحارة الجزائر. وشهدت أوجها سنة 1584، عندما أعلن حاكم فالنسيا كل السواحل الخاضعة لنفوذه منطقة حرب *War Footing*².

كان ربيع 1609، بداية تهجير المورسكيين من اسبانيا، أكثر من ربع مليون تم ترحيلهم نحو شمال إفريقيا... وبهذا التحق العديد من المورسكيين بالبحرية الجزائرية. وتزامن تهجير الأندلسيين مع هروب العديد من "القراصنة الانجليز" نحو السواحل الجزائرية؛ نتيجة توصل الانجليز والإسبان إلى اتفاق ينهي الحرب البحرية بين الطرفين سنة 1604؛ حيث جاءت المعاهدة لتلغي عمل "القراصنة" الانجليز ضد السفن والسواحل الاسبانية.³ لقد مثل الاسلام قوّة جاذبة خلال الفترة، بدرجة لم تشهدها أي فترة سابقة، "فالتحوّل" للإسلام من طرف الأوروبيين والدفاع عنه، يعتبر مفاجئاً؛ ورغم أن الباحثين أو حتى كتاب الفترة الحديثة، يعتبرون أن الدخول في الاسلام كان لأغراض مادية وجنسية؛ إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك، "فالمهتدون" دافعوا عن الراية الاسلامية بشكل يتجاوز أهدافهم الجنسية والمادية. "شهدت الفترة الممتدة بين سنتي 1579-80 دخول خمس مدن مارونية مسيحية بسورية الدخول في الإسلام، ونفس الشيء حدث مع 1400 مواطن كوسينزي *Cosenza* بكالابريا،" الذين لم يصبحوا قادرين على تحمل الحكومة الاسبانية في هذه المناطق"... وقد وصف لنا ليوناردو دونا *Leonardo Donà*، أحد النبلاء من عائلة كيريني البندقية، والذي درس الدين الاسلامي، ثم ذهب إلى مكة لتأدية مناسك الحج: "أن حياة النبيل البندقي أكثر أمناً من حياته؛ لكنه على الأقل تمكن من إنقاذ روحه"؛ كما أنه حاول إقناع والدته للدخول في الاسلام، "وهذا بمعانقتها نور الاسلام الذي منحه له الله، والتخلي عن دينها المسيحي"⁴.

لعل أشهر "القراصنة" الانجليز الذين فرّوا نحو سواحل شمال إفريقيا، هو البحار وارد الذي انضم إلى البحرية التونسية، ونفس الفترة شهدت انضمام القرصان الشهير سيمون دانسر الذي عرف بنهبه لأغلب سواحل العالم إلى البحرية الجزائرية، وجعل الداوي فرقة بحرية تحت إمرته. وبعد استقرار الاثنيين على سواحل المنطقة، درّسوا لبحارتها طرق الإبحار على السفن الحربية؛ وكذا طريقة الولوج إلى المحيط الأطلسي.⁵ وبهذا انتقل الجزائريون من

¹ Ellen G. Friedman, "North African Piracy on the Coasts of Spain in the seventeenth Century: A New Perspective on the Expulsion of the Moriscos", *The International History Review*, Vol.01, No.01, Jan 1979, P2.

² Sebastian Garcia Martinez, *Bandolerismo, piratería y control de moriscos en Valencia durante el reinado de Felipe II*, Valencia: 1977, pp. 69-71

³ *A Collection of All The Marine Treaties Subsisting between Great-Britain, Commencing in The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763*, London: Printed for J.Millan, Charing-Cross, 1779, p70.

⁴ Eric R Dursteler, *Venetians in Constantinople: Nation, Identity, and Coexistence in the Early Modern Mediterranean*, Baltimore : The Johns Hopkins University Press, 2006, p115-116.

⁵ Jullian S. Corbett, *England in The Mediterranean*, Vol1 (2Vol), 2nd Ed, London: Longmans, Greend and Co 1916, p14, 16.

مرحلة استخدام سفن الغاليه التي كانت تستخدم للإبحار في المتوسط، إلى استخدام سفن *Sailing Vessels* القادرة على مقاومة الأمواج العالية في الأطلسي ففي سنة 1617 كانت الجزائر تملك 50 سفينة من هذا النوع؛ وتزايد العدد سنة 1625 ليصل إلى 80 سفينة، وأكدت تقارير أنها بلغت في بعض المرات 120 سفينة.¹

إن دخول إنجلترا إلى البحر المتوسط، واقامتها لعلاقات تجارية مع الدولة العثمانية، جعل جيرانها الفرنسيين والبنادقة، ينظرون إليها بعين الريبة؛ لكن بالنسبة لبحارة المغرب الإسلامي (الجزائر، تونس طرابلس) فهي لا تزال دولة صديقة، مادامت علاقاتها مع الباب العالي جيدة، حيث استمرت الجزائر في منح التجار الإنجليز "جوازات سفر" للعبور في البحر المتوسط بأمان، ففي سنة 1583 منح حاكم الجزائر جواز سفر لأحد التجار الإنجليز جاء فيه: "نحن نائب مملكة الجزائر حسان آغا، منحنا التاجر توماس سينغلتون وبجارتته جواز سفر، يسمح لهم بالإبحار في المتوسط بكل حرية... ونأمر بحارتنا وقادة المشرق بعدم التعرض لهذا التاجر، إن صادف والتقيتم به في بحار جنوة، فرنسا، نابولي، البليار وسردينا... وقعت في قصر الداى بتاريخ 1583/06/23".²

وهكذا نرى أن إنجلترا وفرنسا ونيذرلاند المتحدة، لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين بالإيالات المغربية، طالما كانت هذه الدول في حرب أو في عداوة مع الممالك الاسبانية، ولكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع "العدو" فإن بحارة شمال افريقية توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء، وسرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقائهم السابقين، و"استرقوا طواقمها".³ وسرى أن تأثير الباب العالي كان لا يزال مستمرا على مناطق شمال إفريقيا، خلال النصف الاول من القرن السابع عشر لكن بتأثير محدود على الجزائر.

أصبح البحر المتوسط بعد معركة ليبانتو منطقة مفتوحة تستقطب القادمين من "القراصنة" *Corsaire*. فالجزائر بعد نابولي كانت تعتبر أكبر سوق لبيع السلع المهربة والغنائم البحرية؛ إضافة إلى أن القراصنة الهولنديين استخدموا الموانئ الجزائرية كقواعد لغاراتهم البحرية ضد السواحل الاسبانية. لكن هدنة الإثنا عشر سنة خلقت مشاكل للقراصنة الهولنديين؛ باعتبار أن بلدهم وقعت على الصلح مع الاسبان أعداء الجزائر؛ فالقراصنة الهولنديين لم يكونوا يرغبون في التخلي عن مصالحهم في المنطقة، وهذا دفع العديد منهم للتخلي عن رايته الهولندية والانضمام إلى الجزائر.⁴ ففي سنة 1625 خمسة وخمسون قائدا أساسيا في البحرية الجزائرية كانوا هولنديين؛ فمثلا: راييس مراد : *Kôr Murad Reis* انضم سنة 1618... وبين سنة 1606-1620 قاد الرايس

¹ Alexander .H. de Groot, "Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.39, 1985, p131.

² Richard Hakluyt, *The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years... exc.*, 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599, P266.

³ جون. ب. وولف، مرجع سابق، ص243.

⁴ Richard Hakluyt, P132.

سليمان خمسة وعشرين سفينة في البحرية الجزائرية، وفي ما بعد أصبح القائد الأعلى للبحرية العثمانية، وسفر راييس سابقا توماس. وعلي بتشنيين أحد أبرز القادة البحريين في الجزائر سنة 1645 (لقب بملك الجزائر).¹

وساعدت هذه التطورات في دعم تواجد البحرية الجزائرية في المحيط الأطلسي. وأكدت البحرية الإنجليزية عن فقدانها 466 سفينة لصالح بحارة الجزائر بين سنتي 1606-1609... وتمكن بحارة الجزائر من أسر 1200 أسير سنة 1617 من ماديرا (جزيرة برتغالية بالمحيط الأطلسي)، و700 فرد من كلابريا بإيطاليا سنة 1636، و1000 سنة 1639، و4000 سنة 1646، وفي سنة 1640 وصلت رسائل إلى لندن تؤكد أن الجزائريين أخذوا 60 رجل، امرأة وطفل، من سواحل كورنيش جنوب إنجلترا.²

وخلال الحرب الأهلية الإنجليزية؛ أصبحت القناة الإنجليزية مغلقة من طرف بحارة الجزائر؛ الأمر الذي دفع يفرض ضرائب على السلع *Algier Duty* البرلمان الإنجليزي سنة 1646، إلى إصدار قانون "ضريبة الجزائر" التجارية، لافتداء الأسرى الإنجليز من العبودية في الجزائر.³

وفي المقابل عانت التجارة الهولندية، بعد ازدهار تجارتها مع المشرق ومناطق البحر المتوسط، خلال النصف ، وهذا ربما كان يمثل 5% من *Florins* الأول من القرن السابع عشر. وبلغت قيمه المبادلات 5 ملايين فلورين إجمالي الاقتصاد الهولندي. إن من الصعب تخمين قيمة المبادلات الهولندية مع مناطق شمال إفريقيا، حيث أن أغلب السفن كانت تزور موانئ شمال إفريقيا في طريقها إلى إيطاليا، ليفورنو، والبندقية.⁴

ولتكون لدينا فكرة عن حجم المعاملات مع بحارة الجزائر، ففي الفترة الممتدة بين سنتي 1613-1621، جلبت 937 سفينة إلى الجزائر، كلف الهولنديين لافتداء أسراها حوالي 1600 دوقلن، في أكتوبر 1622 باستخدام عملة الدوقلن الإسبانية، التالي:⁵

¹ Ibid.

² Robert. C. Devis, *Cristian slave, Muslum masters, White slavery in the Mediterranean, the Barbary coast and Italy*, Palgrave Macmillan, 2003, p7.

³ *About Algeria, Algiers, Tlemcen, Constantine, Biskra, Timgad, By Charles Thomas-Stanford F.S.A., With A Map And Thirty. Two Illustrations From Dra Wings By F. Dorrien Thoroton And From Photographs*, New York: John Lane Company, 1912, p68-70.

⁴ Alexander .H. de Groot, op.cit, p133.

⁵ Ibid.

1000	المالك
100	الدولة (البايلك) (10%)
10	ضريبة الميناء (1%)
46	حصصة الفدية <i>Hucett</i>
46	يدفع لـ <i>yasakçi</i> و <i>çavus</i>
20	يدفع لأمير الجمارك (02%)
18	الترجمان
09	الياسكتشي <i>yasakçi</i>
0 أو 09	القنصل الهولندي
377	فواتير مختلفة تتعلق بالتبادل (30%)
1636	المجموع

إن 3% فقط من إجمالي الأسرى الذين جلبوا إلى الجزائر، بين سنتي 1570-1609 كانوا من المحيط الأطلسي؛ لكن نظرة من كتب عن الفترة الممتدة بين سنتي 1609-1619 تظهر أن 27% من الأسرى تم جلبهم من المحيط الأطلسي. واستمر تصاعد الأرقام خلال العقدين القادمين، والسنوات بين 1610-1640 تؤكد أنها مرحلة الأوج بالنسبة لنشاط "البحارة الجزائريين". أما النصف الثاني من القرن السابع عشر فشهد تراجعاً ملحوظاً؛ حيث لم يتجاوز المعدل 20%.¹

مما سبق يمكن أن نؤكد أن النشاط البحري الجزائري، أصبح يشكل تهديداً مباشراً لدول شمال أوروبا، ولاقتصاداتها "فتحرر هذه الدول من الهيمنة الإسبانية، أدى إلى دخولها للبحر المتوسط وإبحارها جنوباً، لدعم موقعها التجاري في المناطق العثمانية؛ لكن دخولها إلى المحيط الأطلسي والبحر المتوسط جلب ضدها هجمات البحارة الجزائريين باعتبارها دول معادية لم توقع معاهدة تضمن لها حرية الملاحة في المتوسط، الأمر الذي أعطى شرعية لهجمات البحارة الجزائريين ضد سفن هذه الدول".²

آيسلندا تحت الحصار الجزائري 1627:

لم يكن أحد من سكان الجزيرة الآيسلندية، يتوقع أن بحارة الجزائر سيصلون مدينتهم يوماً، باعتبارها أكثر المناطق بعداً عن الجزائر والأكثر صعوبة من الناحية المناخية؛ "لكن في سنة 1627 نزل بحارة الجزائر في عدة من مناطق من آيسلندا، وأسروا أكثر من 100 آيسلندي، وفي نفس السنة هاجم بحارة الجزائر جزيرة هايماي قبالة

¹Ellen G. Friedman, p09.

²قرياش بلقاسم، الجزائر ودول شمال أوروبا 1600-1830"، مجلة دراسات تاريخية، ع02، مارس 2014، ص117.

آيسلندا وأخذوا 242 أسير بقيادة مراد رايس.¹ وبدأت هذه الهجمات من الجزر الغربية؛ ثم اتسعت بعدها إلى قرينديك بجنوب آيسلندا في 20 جوان، جرح شخصين في هذا الهجوم.²

قائد هذه الحملة هو مراد رايس، سابقا جان جانسون *Jan Janszoon* ولد بهارليم بهولندا. بدأ مسيرته البحرية "كقرصان" هولندي يغير على السفن الإسبانية لكن الفوائد لم تكن كثيرة، ولهذا -يعتقد الكتاب الأوروبيون- أنه دخل الاسلام وأصبح يدعى مراد رايس في الجزائر، عمل في البداية تحت وصاية الرئيس سليمان، سابقا إيفور دي إيبون، لكنه قتل سنة 1620 في معركة بحرية. بعد هذا ترك مراد رايس الجزائر وتمركز في سلا المغربية، ومن هناك تم تنفيذ العملية بعد اقتراح من أحد الدنماركيين المدعو بول، مقابل أن تمنح له الحرية في حال نجاح الحملة.³

الحملة من خلال المصادر الآيسلندية 1627:

يبدو أن | رحلة العودة كانت مفعمة "بالحياة" كما وصفها القديس أولفير إغيلسون *Olafur Egilsson* أسير من منطقة هايماي (جزيرة قبالة آيسلندا): "لقد كان الجو سيئا جدا، ولمدة أسبوع كانت سفينة الكراب *Krabbe* منفصلة عن سفن البحارة، وكان الأسرى على متن السفينة أكبر من عدد البحارة عدة مرّات؛ حيث خطط الأسرى للثورة والاستيلاء على السفينة. لكن تم اكتشاف الخطة، بعد أن تحدث أسير دنماركي مع أحد "المرتدين" الدانمركيين (بول) وأطلع على الخطة، عندما قال له: "كم من الفئران تحتاج لقتل قط"، وبهذا تظن بول للأمر، وتمّ تطويق الأسرى بالحديد إلى غاية لحاق السفينة بسفن البحارة الجزائريين". وأكد أوليفر أن الأسرى عوملوا جيّدا خلال الرحلة، ومنحوا الجعّة والخمر ذلك أن الأتراك لا يشربون إلا الماء.⁴

وفي 17 أوت وصل البحارة إلى الجزائر، وبيع الأسرى في السوق. أما القديس أولفير فقد أرسل إلى كوبنهاغن للتخصير للقدية، حيث بذلت مجهودات كبيرة لجمع الأموال لهذا الغرض. احتوت إحدى الوثائق المنشورة سنة 1635، قائمة 31 رجل و39 امرأة كانوا لا يزالون أسرى بالمدينة؛ في حين أن قائمة أخرى نشرت في السنة اللاحقة ضمّت تحرير 34 أسير؛ وأما دارندا فقد أكد عن وجود أسرى آيسلنديين سنة 1642. وهناك آيسلنديون تقلّدوا مناصب عالية في الجزائر؛ واحد منهم يدعى جون آسبجارسون *Jon Asbjamarson* حصل على مكانة مرموقة في قصر الداوي؛ أما جون جونسون *Jôn Jônsson Vestmann* فقد أصبح أحد أشهر القباطنة في الأسطول الجزائري، وبعد عدة مغامرات عاد في النهاية إلى كوبنهاغن.⁵

¹ Erik Gobel, "The Danish-Algerian Sea Passes, 1747-1838: An Example of Extraterritorial Production if Human Security", Historical Social Research, Vol.35, N.04, 2010, p166.

² Kristján pälsson, *Reykjanes Peninsula, The Official Tourist Guide*, Iceland: Markaosstofa Suourneja, 2013, p69.

³ Alan G. Jamieson, *Lords of Sea, a History of the Barbary Corsairs*, London: reaktion books ltd, 2012, p76.

⁴ Lewis Bernard, "Corsairs in Iceland", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, N.15-16, 1973. p141.

⁵ Lewis Bernard, op.cit, p142.

ومنذ البداية شهدت الحملة الجزائرية على آيسلندا توثيقا جيدا؛ وأول عمل أنجز يعود لأمين الأرشيف جون بوكيلسون *Jón Borkelsson* مع أوائل القرن السابع عشر، وضمّ 506 صفحة. وأما الروايات الثلاثة اللاحقة فهي الأكثر إتقانا.

وكتبت رواية كلوز إيجولفسون *Kláus Ejjólfsson* بعد الغارة مباشرة، وبنيت على مشاهدات سفينة تجارية دانماركية. لقد كان القبطان وطاقمه من جزر واستمان؛ حيث فرّوا إلى البر الرئيسي في زورق تجديف، وهناك إلتقوا برجل القانون كلوز، الذي ذهب أيضا إلى الجزر المجاورة للحصول على شهادات الناجين. أما الرواية الثانية، فتعود للقديس أولفير أوغيلسون؛ فسنة بعد عودته إلى الديار، بدأ في كتابة رواية عن تجربته، منطلقا من قدوم الجزائريين إلى جزر واستمان، ومن ثم الذهاب نحو الجزائر، وهناك رسم صورة للمدينة، وفي الأخير روى عن رحلاته، خلال حرب الثلاثين سنة إلى كوبنهاغن وآيسلندا.¹

كلّف سنة 1643 الكاهن بورلاكير سكولاسون *Borlákur Skúlason* من هولار (آيسلندا) المؤرخ بخور جونسون *Björn Jönsson* بكتابة تاريخ شامل عن الغارة الجزائرية. لكن كل ما كان يملكه جونسون في يديه هما الروايتين السابقتين، إضافة لروايتين تم منحهما إليه هما الآن مفقودتان، الأولى لإينار لوفتسون *Einar Loftsson* من واستمان آيسلندا، والثانية لهالدور جونسون *Halldor Jonsson* من كريندفيك، كما حصل على رسالة من الجزائر، ووصف كتبه طلبة جنوب آيسلندا.² وتوفرت خلال القرن السابع عشر حوالي 70 عملا عن الهجوم الجزائري، أغلبها محفوظة في المكتبة الوطنية الآيسلندية، وبعضها موجود في المكتبة الملكية بكوتهاغن.

الهجوم الجزائري على بالتي مور (آيرلندا) 1631:

في 17 جوان 1631 أبحرت سفينتين من الجزائر، واحدة كانت سفينة حربية هولندية، مسلحة بـ 24 مدفع، وتحمل 200 بحار جزائري؛ أما الأخرى فكانت تحمل نصف التجهيزات التي كانت تحملها السفينة الأولى تقريبا وفي طريقها أسرت سفينة من منطقة دارتموث الواقعة بين إنجلترا وآيرلندا.³

ومع 19 جوان كانوا بالقرب من الرأس القديم كينيسال الواقع بالقرب من مدينة كورك الآيرلندية، وأسروا سفينتي صيد تابعة لمدينة دانغرفن، وكان الأسطول الجزائري تحت قيادة مراد ريس صاحب الخبرة الكبيرة في البحار الشمالية، ومن هناك إلى بالتي مور.⁴

وعلى الساعة العاشرة ليلا، 19 جوان، أرست السفن بالقرب من ميناء بالتي مور، وتقدموا داخل المدينة مستخدمين دليلا؛ على الساعة الثانية صباحا، 20 جوان، وصلوا منطقة كاوف *Cove*، وأسروا 100

¹ Þorsteinn Helgason, "Historical narrative as collective therapy: The case of the Turkish raid in Iceland", Scandinavian Journal of History, vol.22, N.4, 1997, p168.

² Ibid.

³ Theresa D. Marruy, *From Baltimore to Barbary: The 1631 Sack of Baltimore*, History Ireland July/August 2006, p15.

⁴ Barnbay, "The Sack of Baltimore", Journal of Cork Historical Archaeological Society, Vol.72, N.220, July-Dec 1989, p187.

شخص... ثم توجه مراد رايس إلى القرى المجاورة، آملا في مفاجأة سكانها، وأغاروا على 37 منزل قبل أن تتعالى الإنذارات، حيث عادوا بعدها إلى الشاطئ ومعهم 20 رجل، 33 امرأة، 55 طفل.¹
وتعطي لنا إحصاءات أخرى أسر 273 أسير بين رجل، امرأة وطفل، ويقول الأب بيار دان: "بعد أن جلبوا إلى الجزائر، فصلوا الزوجة عن الزوج، والأب عن الطفل... واقتلعت الابنة من ذراع الام، وهي لا تأمل أن تراها بعد الآن".²

وفي ربيع 1641 هاجم الجزائريون سفينة جون فيلمر، ساعات بعد مغادرتها مدينة يوغال الآيرلندية، في طريقها إلى إنجلترا، وأسروا 120 مسافرا، تم جلبهم مباشرة إلى الجزائر.³
لقد كانت الحملة الجزائرية على آيرلندا سنة 1631، إحدى أهم الهجمات البحرية التي قادها بحارة الجزائر في المحيط الأطلسي وأشهرها، وظهر الهجوم في عديد الأعمال الشعرية الإنجليزية والآيرلندية، ولعل أشهر عمل ذلك الذي ألفه الشاعر توماس دافيس "سلب بالتيemor":⁴

الصيف، تسقط الشمس ناعمة على مئات الجزر الكاربيرية
الماجنون مستلقون على الشاطئ؛ أما الأطفال فقد أنهبوا اللعب
غادر الرفاق الحانة الصغير؛ الأسرة تركع لتصلي
مليئة بالحب، السلام، والطمأنينة
على هذا الخليج الدافئ، تمتد بالتيemor
الكل، الكل في قيلولة عميقة، غيبوبة عالية، جاؤوا في الليل إلى هناك
لا صوت، ما عدا ضربات الأمواج، في الأرض، أو البحر أو الهواء.
صرخة الله *Allah* تتساقط فوق المصلي، ويصرخ ويصيح (*Roar*):
آه ربي المقدس! إن الجزائريين أصبحوا سادة بالتيemor
الخاتمة:

إن أرشيفات أوربا الشمالية تضم اليوم كمًا هائلًا من المعلومات المتعلقة بالجزائر العثمانية، أكثر بكثير من تلك المتعلقة بالفترات اللاحقة؛ فمسألة الأمن البحري كانت تمثل الشغل الشاغل بالنسبة لهاته الدول؛ فأمن مواطنيها وتجارها كانت على المحك؛ ولهذا نلاحظ أن القرن السابع عشر كان أكثر القرون ميكيفيلية خلال الفترة الحديثة؛ فالدول الصغيرة كانت دائما تبني سياساتها على حسب مصالحها التجارية والإستراتيجية؛ ولهذا نلاحظ أن الدين لم يعد يشكل أهمية لدى السلطة السياسية، أكثر من مجرد وسيلة للإبقاء على الوضع هادئا ومستقرا.

¹ Theresa D. Marruy, op.cit, p16.

² James Coleman, "The Barbary Corsairs in Ireland", The Journal of the Royal Society of Antiquaries of Ireland, Fifth Series, Vol.01, N.02, 1890, p167

³ Robert. C. Devis, op.cit, p7.

⁴ Thomas Davis, *The Poems of Thomas Davis with Notes, Historical Illustrations, Etc.*, New York: D. & J. Sadlier & Co., 1866, p132-134.